

العنوان:	جدلية النقل والعقل عند ابن حزم
المؤلف الرئيسي:	السويسسي، عز الدين
مؤلفين آخرين:	البوعزيزي، محمد العربي(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1995
موقع:	تونس
الصفحات:	1 - 185
رقم MD:	857665
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة الزيتونة
الكلية:	المعهد الأعلى لأصول الدين
الدولة:	تونس
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ.
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/857665

لإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

السويسبي، عز الدين، و البوعزيزي، محمد العربي. (1995). جدلية النقل والعقل عند ابن حزم (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الزيتونة، تونس. مسترجع من <http://857665/Record/com.mandumah.search/>

إسلوب MLA

السويسبي، عز الدين، و محمد العربي البوعزيزي. "جدلية النقل والعقل عند ابن حزم" رسالة ماجستير. جامعة الزيتونة، تونس، 1995. مسترجع من <http://857665/Record/com.mandumah.search/>

الفصل الأول :

حياة ابن حزم وعصره

الفصل الأول :

حياة ابن حزم وعصره

أولا : عصره

• البيئة السياسية

ولد ابن حزم وعاش بالأندلس في أعقاب عهد الخلفاء وقيام الفتن بقرطبة وانحلال السلطة بها وابتداء عهد ملوك الطوائف.

فبعد أن بلغت الأندلس أوج قوتها في عهد الخليفة الناصر (300 هـ - 350 هـ / 912 م - 961 م) وعهد ابنه المستنصر (350 هـ - 366 هـ / 961 م - 976 م) تولى هشام الثاني (366 هـ - 406 هـ / 961 م - 1010 م) صنيعة لم يتجاوز عمره إحدى عشرة سنة، فسيما حاجبه محمد بن أبي عامر وثاب له رأي في الاستبداد فتغلب على هشام وحججه واستولى على الدولة "وغزا اثنتين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم ينكسر له فيها راية ولا فل له جيش ولا أصيب له بعث ولا هلكت سرية..حتى هلك سنة أربع وسبعين وثلاثمائة".

وقد سار عبد الرحمن بن المنصور سيرة أبيه في الحجابة ثم ما لبث أن لقب نفسه بالمأمون ولم يكتف بأن يحكم باسم الخليفة هشام المؤيد وأراد أن يجعل نفسه وليا للعهد فأجابه الخليفة وأحضر لذلك الملاء من أرباب الشورى وأهل الحل والعقد وذلك سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة فكانت فتنة خلع فيها المؤيد وقتل فيها الحاجب سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وذهبت دولة العامريين.

ونادى أهل قرطبة بخليفة آخر سموه المهدي لم يلبث أن أظهر الوطأة على البربر وقتل من رؤوسهم هشاما وأخاه أبا بكر فقام سليمان ابن أخيهما الحكم واستجاش بالبربر وبابن اذفونش كبير النصاري ودخلوا قرطبة ختام المائة الرابعة فلم يفجأ الناس إلا المهدي متجشبا بابن اذفونش أيضا فدخل قرطبة وملكها².

ثم اندلعت معارك أخرى قتل فيها المهدي وهشام واستوسق الأمر لسليمان المستعين حتى جاء علي بن حمود العلوي من الأدارسة وملك قرطبة سنة 407 هـ / 1010 م فانقطعت دولة بني مروان وبدأت الدولة الطالبية.

¹ : ابن خلدون "كتاب العبر" 147/4-148

² : المقرئ "فتح الطيب" 20/4

وسعى كثيرون إلى أن يعيدوا الأمر إلى الأمويين من بينهم عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الملك بن الناصر الذي ظهر سنة 408 هـ / 1011م وتلقب بالمرتضى ولكنه قتل وانهزم جيشه. كما طلب عبد الرحمن بن هشام الأمر إلى نفسه سنة 420 هـ / 1023م فاستتب له الأمر بقرطبة وتلقب بالمستظهر غير أنه قتل بعد شهرين من توليه الحكم على يد محمد الثالث المتلقب بالمستكفي (420هـ - 422هـ / 1023م - 1025م) والذي ثار الناس عليه ففر إلى ناحية الثغر ومات في مفره.

وفي سنة 424هـ / 1027م استعاد هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر عرش الأمويين وتلقب بالمعتد بالله إلا أنه لم يستطع أن يمتلك زمام الأمور. وهكذا ضاع شأن الخلافة "ونادى أهل قرطبة بالأسواق والأرباض أن لا يبقى أحد من بني أمية بها.. ثم انحل عقد الجماعة وانتشرت وافتترقت البلاد" وتولى الأمر ملوك الطوائف من الموالي والوزراء وكبار العرب والبربر اقتسموا البلاد وقام كل واحد بأرض ناحية منها وتغلب بعض على بعض ولادوا بالجزية للطاغية أو يظاهرون عليهم أو ينزعونهم ملكهم حتى أجاز إليهم يوسف بن تاشفين أمير المرابطين وغلبهم جميعا على أمرهم⁴.

• البيئة العلمية

لم تعرف الأندلس عهدا بلغت فيه فخامتها العلمية والثقافية مثل عهدي الناصر وابنه المستنصر فقد كان الأول إلى جانب حكمته وحنكته السياسية معروفا بتشجيعه العلم وترويج سوقه حتى أصبحت قرطبة في عهده كعبة الأدباء ومجتمع العلماء ومقصد باعة الكتب. ولما تولى ابنه الحكم المستنصر وطد دعائم المعرفة وأقام للعلم والعلماء سوقا نفقت فيها بضائعه من كل قطر. ومن مآثره العلمية.

- رفع مستوى التعليم في المساجد وذلك باستدعائه المؤدبين المشهورين للتدريس في مساجد قرطبة كأبي بكر الزبيدي (ت 379 هـ) وأبي علي القالي (ت 356 هـ).

- مكافأة المتفوقين من الطلاب بعد عودتهم من رحلتهم العلمية من بلاد الشرق فخصهم بوظائف عالية في الدولة وكان غرضه من ذلك أن يفاخر بأهل المغرب.

- تشجيعه العلماء على التأليف من ذلك أنه طلب من الزبيدي عالم اللغة أن يولف كتابه طبقات النحويين واللغويين.

3: ابن الأثير "الكامل" 284/9

4: كتاب العبر 156/4

- حرصه الشديد على جمع الكتب وتوفيرها للمتعلمين فقد "كان محبا للعلوم مكرما لأهلها فجمع من الكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله".⁵

وقد دفعته رغبته الجامحة في اقتناء الكتب أن أرسل بعثات على نفقته الخاصة إلى أقصى البلدان مهمتها جمع الدواوين والدفاتر والبذل في أعلقها أنفس الأثمان.

وكان يمتلك خزانة الكتب الأولى في الأندلس وثاني أضخم ثلاث خزائن في العالم الإسلامي كله وبلغ عدد مجلدات خزائنه أربعمائة مجلد مرتبة أسماؤها في أربع وأربعين فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة.⁶

واستمرت هذه الجهود العلمية في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر الذي اشتهر بميله إلى الأدب وتشجيعه على طلب العلم.

كما عرف بعض ملوك الطوائف بحضورهم المجالس العلمية وتشجيعهم على عقد المناظرات والمساجلات بين كبار العلماء.

هذا كله أتاح لابن حزم ولغيره من أهل الأندلس الاتصال بكبار العلماء والاطلاع

على كتب شرعية وعقلية وقد سجل في رسالته في فضل الأندلس وذكر رجالها أسامي العلماء الذين وضعوا المصنفات النفيسة في شتى العلوم بما فيها العقلية إذ يقول: "وأما الفلسفة

فإنني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقطي المعروف بالحمّار (توفي بعد 30)

دالة على تمكنه من هذه الصناعة. وأما رسائل أستاذنا أبي عبد الله بن الحسن المذحجي

المعروف بابن الكتاني (ت 420 هـ) فمشهورة ومتداولة وعظيمة المنفعة.⁷

فكانت النشأة العلمية لطلاب الأندلس مزاجنة بين المنقول والمعقول، وظهرت طبقات من

علماء الشريعة والحكمة والأدب. وبرزت طبقة من العلماء المشاركين في فنون جمة في طبيعتهم ابن حزم.

⁵ : الضبى "بغية الملتبس" ص 18، ابن خلدون "كتاب العبر" 144/4

⁶ : ابن حزم "جمهرة أنساب العرب" ص 100، ابن خلدون "كتاب العبر" 146/4، وائل أبو صالح "جهود

الحكم المستنصر في تطور الحركة العلمية بالأندلس" ضمن مجلة الدراسات الأندلسية العدد 6 ص 27-43

⁷ : المقرئ "نفح الطيب" 122/3

• البيئة الاجتماعية

كان يمثل المجتمع الأندلسي خليط من العناصر كـ "البلديين"، والمولدين، و"المسالمة" وهم أهل البلاد الذين دخلوا الإسلام، والعرب الفاتحين من الموالى وبيوت العرب، إلى جانب اليهود والنصارى الذين ظلوا على دينهم وقد تميزت الأندلس في القرن الرابع للهجرة بالطابع الحضاري الذي عم مدنها إذ صارت جميع المناطق "عامرة مأهولة تتخللها قرى كثيرة نظيفة مبيضة الدور من الخارج.. وربما يمر المسافر في اليوم الواحد على أربع مدائن كثيرة عدا القرى والحصون"⁸. وتطورت قرطبة في ذلك العصر وتبحر عمرانها حتى كان لها من الأرباض واحد وعشرون وذلك لأنها مثلت عاصمة الخلافة وجذبت إليها الناس من داخل البلاد وخارجها فلم تكن تدانيها مدينة "في كثرة أهل وسعة رقعة وفسحة أسواق ونظافة محال وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق"⁹

على أن ترسخ ظاهرة التمدن في الأندلسيين لم يمنع من ظهور طبقة من المحدثين والفقهاء الذين آثروا حياة القرية فكان طلبة العلم يقصدونهم حيث انزلوا. ونتيجة لغلبة الحضارة انتشرت في المجتمع الأندلسي روح التعاون وحب العمل ونبذ التواكل والتعرض للصدقة وتجلت مظاهر الأبهة والترف والميل إلى حضور مجالس الطرب واللهو في القصور وفي بيوت الأصحاب.

فكان من الطبيعي أن تكون المرأة الأندلسية متحررة ومشاركة في فنون شتى كالآداب ورواية الحديث فضلا عن اعتلاء المناصب في الدولة والتمتع بالنفوذ السياسي. وتميزت الحياة الاجتماعية كذلك بتراجع العصبية القبلية التي كان يثيرها العنصر العربي من مضر ويمن إذ "جَزَأ المنصور القبائل وجعل الجند الواحد فرقا في كل قبيلة فحفت الفتن القائمة على العصبية"¹⁰.

وفي مقابل ذلك كان الأندلسيون شديدي التعصب لمذهب مالك (ت 179 هـ) يدورون حول العتبية والعتبية على فتاوي شيوخهم، ويعادون كل جديد عليهم الواضحة

⁸ : المقري "نفح الطيب" 97/1-98

⁹ : ابن حوقل "صورة الأرض" 11/1، وقد نوه ابن حوقل بالرخص والسعة والتملك الفاشي في الخاصة والعامة.

¹⁰ : نفح الطيب 139/1

وينسبون صاحبه إلى البدعة ويسمونهم بالزندقة ويتعقبونه ويخاطبون الحكام في شأنه ويحرضون العامة عليه.

من ذلك أنهم أنكروا على بقي بن مخلد (ت 276 هـ) إدخال فقه الشافعي (ت 204 هـ) إلى الأندلس وأغروا السلطان به فاضطر بقي إلى أن "يستتر خوفاً على دمه"¹¹. كما حاربوا الحركة الفلسفية التي تزعمها ابن مسرة (ت 346 هـ) منذ بداية القرن الرابع للهجرة واستمر تأثيرها إلى نهاية ذلك القرن.

وحسبنا شهادة ابن عبد البر حافظ المغرب (ت 463 هـ) فقد عاش في الأندلس ووصف أهل بلاده بأنهم "ليس عندهم أكثر من حكاية قول صاحبهم.. ويلجؤون إلى ذكر فضل مالك ومنزلته.. لم يبيحوا النظر في كتب من خالف مالك إلى دليل يبينه.. وهم مع ما وصفنا يعيبون من خالفهم ويغتابونه ويتجاوزون القصد في ذمه ليوهموا السامع أنهم على حق"¹².

11: ابن عذاري "البيان المغرب" 163/2

12: ابن عبد البر "جامع بيان العلم وفضله" 210/2

ثانيا : حياته

• مولده ونشأته

هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن سليمان بن يزيد الفارسي. ويزيد هذا هو مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي "وعلى ذلك فهو قرشي بالولاء فارسي بالجنس وإنه لذلك الولاء كان يتعصب لبني أمية"¹³.

ولد ابن حزم بقرطبة في الجانب الشرقي من ربض منية المغيرة آخر يوم من شهر رمضان سنة 384 هـ (7 نوفمبر 994 م). وأسرته "فتية علم وأدب وثنية مجد وحسب ولي الوزارة منهم غير واحد ونالوا بقرطبة جاها عريضا فكان أبو محمد أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابنه المظفر بعده والمديرين لدولتهما"¹⁴.

في هذا البيت نشأ ابن حزم نشأة المترفين يتقلب في أعطاف النعيم "لا يلبس إلا الحرير ولا يرضى من المكانة إلا بالسريير"¹⁵ غير مكلف بعمل حتى مات أبوه سنة 402 هـ.

وفي تضاعيف رسالته "طوق الحمامة" شواهد كثيرة تدل على أنه كان من أهل الفضل واليسار فقد كان لوالده دور محدثةً بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة، ودور قديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث وكان ببعض تلك الدور قصبة مشرفة على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها وكانت عينه كثيرا ما تقع على المحاريب المنمقة والمقاصير المزينة التي كانت تشرق إشراق الشمس ويجلو الهموم حسن منظرها"¹⁶.

فليس غريبا أن تخفق نفس ابن حزم السامية بالحب النبيل العف الطهور منذ ميعة الصبا ويملكه جمال الحور الأندلسيات وقد أخبر في رسالته "طوق الحمامة" أنه كلف بحب ثلاث جاريات ويؤمن أن مذهبه في الحب المطاولة ومذهبه في الجواري الشقراوات فكان لا

13 : أبو زهرة "ابن حزم" ص 25. وذكر ابن حبان (ت 745 هـ) أن ابن حزم من عجم لبلة وأن جده الأدنى حديث عهد بالإسلام. انظر ياقوت الحموي "معجم الأبناء" 248/12 وأرندونك "ابن حزم" في دائرة المعارف الإسلامية 255/1.

14 : معجم الأبناء 237/12.

15 : الذهبي "تذكرة الحفاظ" 1148/3.

16 : ابن حزم "طوق الحمامة" ص 110، 108، 91 بتصرفي.

يستحسن سوداء الشعر، وأنه لا يمل الحب ولا يفتر عن الكلف بمن يحب وقد يطول ذلك به فلا يحس بسامة ولا ترهقه فترة بل يظل يستزيد من الحب ويظماً دوماً إلى الوصل رغم أنه لم يرو يوماً من مائة. فهو يصف حالته بعد أن فجعت الأقدار بالجارية الثانية التي أحبها فيقول: "أقيمت بعدها سبعة أشهر لا أتجرد عن ثيابي ولا تفتر لي دمة على جمود عيني".¹⁷

• رحلاته وعمله بالسياسة

إن ابن حزم وأن ولد في عيش ناعم ودرج في قصور الخلفاء لم تكن حياته ناعمة ولم ينعم بطراوة العيش، ورسالته "طوق الحمامة" التي ضمنها جوانب من حياته تفيض بما يدل على ما قاساه من آلام ومحن.

فما إن ضرب الدهر ضرباته ودار الفلك بقرطبة حتى اضطر بنو حزم إلى الانتقال من دورهم المحدث بالجانب الشرقي من قرطبة في ربض الزاهرة إلى دورهم القديمة في الجانب الغربي من قرطبة ببلاط مغيث في اليوم الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدي بالخلافة. وذلك سنة تسع وتسعين وثلاثمائة¹⁸.

وإثر مقتل المهدي وإعادة هشام المؤيد إلى الخلافة، عرف بنو حزم محنتهم الأولى فقد شغلوا "بالنكبات وباعتداء أرباب دولته وامتحنوا بالإعتقال والترقيب والإغرام والاستتار وعمت الفتنة الناس وخصت إلى أن توفي أبي الوزير رحمه الله ونحن في هذه الأحوال عام اثنين وأربعمائة¹⁹".

وقد اضطر ابن حزم أمام إزعاج البرابرة لقرطبة إلى أن يتركها ويرتحل إلى المرية طلباً للاطمئنان والاستقرار وقد وجد هناك في العلم عزاء فاتصل بالشيوخ الأعلام الذين لجؤوا إلى المرية.

فلما انقطعت دولة بني مروان وظهرت الدولة الطالبية وتملك علي بن حمود العلوي قرطبة سنة سبع وأربعائة وتبع الأمويين وأنصارهم ومواليهم ومن كان له حظوة عندهم، ابتلي ابن حزم بمحنة جديدة نقلها بقوله: "تكبني خيران صاحب المرية إذ نقل إليه من لا يتقي الله عز وجل من الباغين وقد انتقم الله منهم عني وعن محمد بن إسحاق صاحبي أنا نسعى في القيام

¹⁷ : طوق الحمامة ص 94 وانظر تمام تجربته العاطفية ص 35، 94-95، 111-114

¹⁸ : م . ن . ص 113

¹⁹ : م . ن .

بدعوة الدولة الأموية فاعتقلنا عند نفسه أشهراً ثم أخرجنا على جهة التغريب فصرنا إلى حصن القصر ولقينا صاحبه ابن المقفل فأقمنا عنده شهراً في خير دار إقامة²⁰.

وأمام توالي المحن عليه وشدة لوائه للبيت الأموي وجد ابن حزم نفسه على درب أبيه فأنجذب إلى السياسة جذباً شديداً وركب البحر قاصداً بالنسبة عند ظهور المرتضى عبد الرحمن بن محمد يطلب الأمر لنفسه فأيده حتى كان وزيراً من وزرائه وسار في جيشه المتجه لتخليص قرطبة من حاكمها ابن حمود العلوي ولكن المرتضى يقتل وينهزم جيشه ويقع ابن حزم في الأسر.

ولما فك استارُه عاد ابن حزم إلى قرطبة سنة تسع وأربعمائة بعد غياب دام حوالي ست سنوات إذ يقول: "خرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمائة ثم دخلت قرطبة في شوال سنة تسع وأربعمائة²¹".

ويبدو أن ابن حزم قصد بعد ذلك القيروان حيث أقام أمداً يختلف إلى علمائها ويفيد منهم ويجادلهم. وهو يذكر مجالسة حول الحب جمعه بأبي عبد الله محمد بن كليب من أهل القيروان انقطعت بقول القيرواني لابن حزم: "أنت رجل جدلي في الحب ولا جدل في الحب يلتفت إليه²²".

وعندما ظهر عبد الرحمن بن هشام الملقب بالمستظهر يطلب الأمر إلى نفسه كان ابن حزم في مقدمة من آزره. ولما استوسق للمستظهر الحكم بقرطبة استوزر ابن حزم وابن شهيد (ت 426هـ) سنة 411 هـ. لكن هذه الوزارة لم تدم أكثر من شهرين حيث قتل الخليفة على يد محمد الثالث الذي تلقب بالمستكفي وأودع ابن حزم السجن. وهو يتحدث عن هذه المحنة فيقول: "كنت معتقلاً في مطبق وكنت لا أومن قتله لأنه كان سلطاناً جائراً ظالماً عادياً قليل الدين كثير الجهل. وكان ذنبنا عنده صحبتنا للمستظهر رضي الله عنه²³".

وفي سنة 418 هـ نزل ابن حزم ببعض دوره في شاطبة وشرع في تأليف رسالته "طوق الحمامة". ولم يحض هذه الرسالة لضروب العشق وأحوال العاشقين بل ضمنها كذلك جوانب من حياته وتصويراً للحالة النفسية والمادية. فقد وصل شاطبة متقلاً بهوم كثيرة سببت الأحداث السياسية وسرعة تقلبها وما أحدثته من خراب وما أشاعته من تشرد وارتحال.

20 : طوق الحمامة ص 118-119

21 : م . ن ص 222

22 : م . ن ص 50

23 : ابن حزم "التقريب لحد المنطق" ص 199-200

واقطاع كسب. فنراه يشكو تلك الحالة إلى صديقه بقوله: "أنت تعلم أن ذهني متقلب وبالي بما نحن فيه من الدمار والجلء عن الأوطان وتغيير الزمان ونكبات السلطان وفساد الأحوال وتبدل الأيام وذهاب الوفرة والخروج عن الطارف والتالد واقطاع مكاسب الآباء والأجداد والغربة في البلاد وذهاب المال والجاه والفكر في صيانة الأهل والولد واليأس من الرجوع إلى موضع الأهل ومدافعة الدهر وانتظار الأقدار²⁴".

وكان ينبغي على ابن حزم بعد ذلك أن ينصرف عن أمور السياسة ويتفرغ إلى العلم بالكلية ولكن ياقوت الحموي يذكر أن ابن حزم اشتغل بالوزارة مرة ثالثة وذلك أثناء حكم هشام المعتد بالله.

وفي سنة 440 هـ وصل ابن حزم إلى جزيرة ميورقة تلبية لدعوة واليها ابن رشيق (ت 440 هـ) وقد تزامن ذلك مع عودة أبي الوليد الباجي^(ن 474هـ) إلى شرق الأندلس بعد إقامته في المشرق ثلاثة عشر عاماً. وقد عقدت بينه وبين ابن حزم مجالس جدلية مشهورة إلا أن المؤرخين أهملوا ذكرها.

غادر ابن حزم جزيرة ميورقة بعد ضج الفقهاء به وتآلبهم عليه وبعد وفاة نصيره الأمير ابن رشيق، وواصل تجواله في بلاد الأندلس يحمل علومه في صدره ويبحثها في صفوف أتباعه وأشياعه الذين كانوا ينتابونه رغم كثرة خصومه من العلماء والعامة، حتى حل باشبيلية وكان على رأسها المعتضد بن عباد الذي حكم من 439 هـ إلى 460 هـ وكان أهلها لا يرضون أن يعيشوا من غير خليفة، فسار على سنة أبيه وادعى أنه استمد الولاية من الخليفة هشام المؤيد وزعم أن هذا الأخير لا يزال حياً يرزق فبوع للمعتضد وخطب له على منابر جميع بلاد الأندلس في أوقات متفرقة، وسفكت الدماء بسببه واجتمعت العساكر وتصادمت في أمره.

وقد استمر هذا الإدعاء إلى سنة 455 هـ وكشف ابن حزم ذلك الباطل وشهره في رسالته "نقط العروس"²⁵ وقد يكون ذلك سبب تمزيق كتبه وحرقها علانية باشبيلية من قبل ابن عباد. ورغم كل ذلك واصل ابن حزم نضاله عن آرائه حتى اخترمته المنية وهو في بادية لبلة²⁶ آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة، وقيل إنه توفي في قرية منت ليشم²⁷ وهي ملكه وملك سلفه من قبله.

²⁴ : طوق الحمامة ص 117

²⁵ : انظر رسالته "نقط العروس" ص 83

ثالثا : ثقافته العلمية

• طلبه للعلم

كان تعليم أولاد الخلفاء والوزراء والقواد في الأندلس يختلف عن تعليم أبناء العامة وقد كانت سنة الخلفاء والأغنياء إحضار المؤدبين إلى قصورهم وإفراد غرف خاصة يعلمون فيها أبناءهم²⁸. لذلك تلقى ابن حزم تعلمه الأول عن النساء العالمات والمربيات في القصور حيث يقول: "لقد شاهدت النساء وربيت في حورهن ونشأت بين أيديهن ولم أعرف غيرهن ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب..وهن علمنني القرآن وروينني الأشعار ودربنني على الخط"²⁹.

ولم يكتف ابن حزم بما يتعلمه أبناء الأكابر من حفظ القرآن والشعر وإتقان الخط والكتابة بل صحب أبا الحسن بن علي الفارسي في مجلس أبي القاسم عبد الرحمن بن زيد الأزدي (ت 411 هـ) وأخذ الحديث عن أحمد بن الجسور (ت 401 هـ) وعن الهذاني سنة 400 هـ في مسجد القمري بقرطبة³⁰ كما سمع عن يحيى بن مسعود بن وجدة الجنية، ويوسف بن عبد الله القاضي (ت 463 هـ)، وحماد بن أحمد القاضي (ت 421 هـ) ومحمد بن سعيد بن نبات (ت 429 هـ)، وعبد الله بن الربيع التميمي (ت 415 هـ)، وعبد الله بن محمد بن عثمان (ت 417 هـ)، وابن عمر الطلمنكي (ت 429 هـ)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خالد (ت 411 هـ)، وعبد الله بن يوسف بن نامي (ت 435 هـ)³¹ والقاضي يونس بن عبد الله (ت 429 هـ)، وأبي محمد بن بنوش القاضي (ت 417 هـ)³². وله شيوخ غير هؤلاء

26 : لبلة Niebla : اسم لمدينة تقع على مسافة خمسين كيلومترا إلى الغرب من اشبيلية سقطت نهائيا في يد

الفرنج سنة 655 هـ وهي على نهر لهشو ويسمى اليوم tento

27 : منت ليشم : في معجم البلدان متلجثم، وهي على مسافة نصف فرسخ من أونية Alwva على مصب نهر

أديال في كورة لبلة. (أردونك "ابن حزم" ضمن دائرة المعارف الإسلامية 255/1)

28 : ابن حيان "المقتبس" ص 133

29 : طوق الحمامة ص 55

30 : م.ن ص 125، 135، يتصرف

31 : الذهبي "تذكرة الحفاظ" 1146/3

32 : ابن بشكوال "الصلة" 395/2

كثيرون فقد أجمع المترجمون له انه سمع سماعا جما، وذكر هو نفسه انه طلب الحديث "على سائر شيوخ المحدثين بقرطبة"³³.

(ت 8431هـ)
وقد تفقه ابن حزم على شيخه أبي عبد الله بن دحون حيث قرأ عليه كتاب الموطأ لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ثم تتابعت قراءته على شيخه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام. وأخذ القول بالظاهر عن شيخه الفقيه مسعود بن سليمان بن مفلت أبو الخيار (ت 426هـ) قال صاحب "بغية الملتبس": "مسعود.. فقيه عالم زاهد يميل إلى الاختيار والقول بالظاهر ذكره أبو محمد بن حزم وكان أحد شيوخه"³⁴.

ولا شك ان ابن حزم طلب العلم قبل توليه الوزارة في سن الثلاثين على انه انصرف إلى العلم بالكلية اثر اعتزال السياسة فأقبل على دراسة العلوم الشائعة في عصره من المنقول والمعقول. فأخذ المنطق عن شيخه محمد بن الحسن المذحجي وأمعن فيه، واطلع على رسائل في علوم الفلسفة والمنطق تحدث عن بعضها في بعض رسائله حيث قال: "وأما الفلسفة فإنني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السرقطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه من هذه الصناعة. وأما رسائل استاذنا أبي عبد الله بن الحسن المذحجي المعروف بابن الكتاني فمشهورة"³⁵.

ثم أوغل ابن حزم بعد ذلك في علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله وصار إليه المنتهى في الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والعربية والآداب والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والرياسة والثروة وكثرة الكتب.

قال صاعد الأندلسي (ت 462 هـ): "كان ابن حزم من أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم البيان ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار"³⁶.

وقال ابن حيان: "كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيل الأدب مع المشاركة في كثير من التعاليم القديمة"³⁷.

33 : طوق الحمامة ص 118

34 : الضبي "بغية الملتبس" الترجمة رقم 1361

35 : ابن حزم : "رسالة في فضل الأندلس" ضمن "تفح الطيب" 122/3

36 : ابن العماد "شذرات الذهب" 299/3

37 : ابن بسام "الذخيرة" القسم الأول 167/1

ولابن حزم مجالس مشهورة ومناظرات مع يهود قرطبة ومع غيرهم من أولي المذاهب المخالفة، وبينه وبين الباجي مناظرات وماجريات "مدونة في جزء"³⁸.

ذكر أن ابن حزم اجتمع يوما مع الفقيه الباجي وجرت بينهما مناظرة فقال الباجي: "أنا أعظم منك همة في طلب العلم لأنك طلبته وأنت معان عليه تسهر بمشكاة الذهب، وطلبتَه وأنا أسهر بقنديل بئث في الرق" فأجابه ابن حزم: "هذا كلام عليك لأنك إنما طلبت العلم وأنت في تلك الحال رجاء تبديلها بمثل حالي وأنا طلبته في حين ما تعلمه وما ذكرته فلم أرج به إلا علو القدر العلمي في الدنيا والآخرة"³⁹.

ويروى أن الباجي قال بعد انقطاع المناظرة: "تعذرني فإن أكثر مطالعتي كانت على سرج الحراس" قال ابن حزم: "وتعذرني أيضا فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة"⁴⁰.

وكان لابن حزم مداعبات علمية وأدبية مع كثير من العلماء مثل ابن شهيد
وابن عبد البر وغيرهما
• مذهبه وتآلب الفقهاء عليه

لم يعتنق ابن حزم المذهب المالكي الشائع في الأندلس وإنما مال نظره في الفقه إلى رأي الشافعي أولاً فتاضل عن مذهبه حيناً ورد على مخالفيه ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر فنقحه ونهجه وجادل عنه وصنف فيه.

إمام هذه الطائفة وأول من قال بالظاهر داود بن علي بن خلف (ت 270 هـ) نشر مذهبه في صفوف أشياعه ببغداد غير أن بذرة الظاهرية أخصيت بالأندلس على يد ابن حزم "فهو الذي

38 : ابن حجر "لسان الميزان" 4/200. ويرى بعض المؤرخين والباحثين أن هذه المناظرات رجحت كفة الباجي النظار. انظر على سبيل المثال المقرئ "نفح الطيب" 6/176، وعبد المجيد التركي "مناظرات في أصول الشريعة بين ابن حزم والباجي" حيث يقول في مدخله "ومن الممكن استرجاع هذه المناظرات حيث كان للباجي تفوق ظاهر لا في مجال العقيدة حيث لا يعرف للباجي ما يعدل "الفصل" الذي صنفه ولكن في المجال الفقهي".

39 : المقرئ "نفح الطيب" 1/358

40 : الحموي "معجم الأندباء" 12/239-240 ويعني ابن حزم برده أن الغنى أضيع لطلب العلم من الفقر

أحیی فقه داود وسلك به مسلکا اتسم بسمته فوسع رحابه وأید فروعه بالأدلة وناقض مخالفیه
في أقوال صارمة⁴¹.

ومما يعاب على ابن حزم وقوعه في العلماء بأقبح عبارة وأفظ محاوره وأشنع رد
"وجهله بسياسة العلم" إذ كثيرا ما يلاحى خصمه ويعنفه بقارس القول دون مبرر ولا سبب
مشروع حتى قال ابن العريف (ت 536 هـ): "كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين".⁴²
هذه الشدة ترجع في نظر ابن حزم إلى المرض الذي ألم به إذ يقول "ولقد أصابتنی علة شديدة
ولدت علي ربوا في الطحال شديدا فولد ذلك علي من الضجر وضيق الخلق وقلّة
الصبر والنزق أمرا حاسبت نفسي فيه"⁴³

وقد يكون وراء هذا التآلب على ابن حزم انه سلق الإمام الأشعري (ت 324 هـ) بلسان حاد
في كتابه "الفصل" وأطال لسانه في علماء أهل السنة. يدل على ذلك قول السبكي (ت 774 هـ):
"كتابہ هذا من أشر الكتب وما برح المحققون من أصحابنا ينهاون عن النظر فيه لما فيه من
الازدراء بأهل السنة وقد أفرط فيه التعصب على الأشعري حتى صرح بنسبته إلى البدعة"⁴⁴.

وكان مما يزيد في شتآن ابن حزم "تشيعه لأمرأ بني أمية ماضيهم وباقيهم بالمشرق
والأندلس واعتقاده صحة إمامتهم وانحرافهم عن سواهم من قريش"⁴⁵.

كل ذلك كان وراء ما لاقاه في سبيل مذهبه إذ نكره أهل زمانه وتتبعوا سقطاته
"وصار غرضا للأقوال وهدفا للمطالب وعرضة للتطرق إلى عرضه"⁴⁶ وضج به الفقهاء
وعابوه بالشذوذ وتمالؤوا على بغضه وتضليله وحذروا سلاطينهم من فتنته حتى حرق

41 : أبو زهرة "ابن حزم" ص 295 ويرى المؤلف ان بقي بن مخلد (ت 276 هـ) ومحمد بن وضاح
(ت 286 هـ) وقاسم بن اصبح (ت 340 هـ) هم الذين مهدوا لظهور المذهب الظاهري بالأندلس بنشرهم
للأحاديث والفقه المقارن ونقلهم أخبار علماء الشرق ومذاهبه. وبعدئذ ظهر علماء يعلنون العمل بالظاهر من
بينهم قاضي الجماعة في قرطبة منذر بن سعيد البلوطي (ت 255 هـ) وقد اطلع ابن حزم على أخباره والتقى
ابنه سعيد بن منذر (ت 403 هـ) م . ن 299-300

42 : ابن العماد "شذرات الذهب" 3/300. وذكر الشاطبي (ت 790 هـ) ان العلماء شنعوا على ابن حزم لأنه

لم يلازم الأخذ عن الشيوخ ولا تأدب بأدابهم. "الموافقات" 95/1

43 : ابن حزم "رسالة الأخلاق والسير" ص 155

44 : حاجي خليفة "كشف الظنون" 2/1820

45 : الحموي "معجم الأبناء" 12/250

46 : ابن حزم "رسالة في فضل الأندلس" ضمن كتاب إحسان عباس "تاريخ الأدب الأندلسي" ص 300

بعضهم كتبه علانية باشييلية، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه فطفق الملوك يقصونه عن قربهم ويسيرونه عن بلادهم حتى اضطر إلى لزوم مسكنه ببادية لبلة حيث كان ينتابه كثير من طلبة العلم من بينهم الحميدي (ت 488 هـ) الذي اختص به ولازمه حتى صار على مذهبه إلا أنه لم يكن يتظاهر به. وفي سنة 448 هـ رحل إلى المشرق وتولى نشر المذهب واستقطب له أتباعا كثيرين.

وفي العصر الموحي تنفست الظاهرية وأعلن العمل بمذهبها ملوك الموحدين لا سيما ثالثهم أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذي تولى من سنة 580 هـ إلى سنة 595 هـ فحمل الناس على المذهب الظاهري بقوة السلطان.

• مصنفاته

كان ابن حزم على ضج العلماء به وتألبهم عليه لا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف والإكثار منه حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم "وقر بعير" وبلغت تواليه فيما رواه لنا ابنه أبو رافع الفضل (ت 479 هـ) نحو أربعمئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة.

ويعزو ابن حزم إكثاره من التأليف إلى تنكر أهل بلاده له وتمالئهم على بغضه وتجهم مذهبه وفي ذلك يقول: "انفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة وهي أنه توقد طبعي واحتدم خاطري وحيي فكري وتهيج نشاطي فكان ذلك سببا إلى تواليه عظيمة النفع ولولا استنارتهم ساكني واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف"⁴⁷.

وقد أحسن الباحث سعيد الأفغاني فاستوعب عناوين هذه المصنفات في كتابه "ابن حزم الأندلسي ورسالة في المفاضلة بين الصحابة". وسنقتصر على ذكر أهم الكتب المنشورة منها.

المصنفات الكلامية والفلسفية

- الفصل في الملل والأهواء والنحل : نشر بالقاهرة (1899-1903) وهو كتاب ضخيم في علم الجدل يقع في خمسة أجزاء عرض فيه المذاهب المختلفة في أصول الدين وناقش في إسهاب اعتراضات المخالفين بأدلة كثيرة مستقصاة.

⁴⁷ : ابن حزم "رسالة الأخلاق والسير" ص 30

وقد أشاد بهذا الكتاب المستشرق آسين بلاثيوس بقوله: "إننا لا نجد بين أيدينا وثيقة هي أغنى ولا أجدر بالثقة من كتاب "الفصل" لابن حزم تمكننا من تتبع سير تيار الثقافة الذي لم يتوقف أبداً خلال العصور الوسطى فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب"⁴⁸.

- الرد على ابن النخيلة اليهودي : نشره الباحث إحسان عباس بالقاهرة سنة 1960 مع رسائل أخرى.

- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية : نشره إحسان عباس وقال عنه صاعد الأندلسي : "بسط فيه القول على تبين طرق المعارف واستعمل فيه مثلاً فقهية وجوامع شرعية وخالف أرسطاطليس (384 ق م - 322 ق م) واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط"⁴⁹.

أما الحميدي تلميذ ابن حزم فقد أثنى على "التقريب" بقوله : "سلك في بيانه - أي المنطق - وإزالة الظن به وتكذيب الممخرقين به طريقة لم يسلكها أحد قبله فيما علمناه"⁵⁰.

ومهما اختلفت الآراء في هذا الكتاب فإنها تدل على أن ابن حزم "أراد أن يجعل من علم المنطق علماً مطبوعاً بطابعه وشخصيته جاريًا مع التفكير العلمي الإسلامي غير متعلق بأذيال المنطق الأرسطي وتلك هي شخصية ابن حزم المستقلة التي نعرفها"⁵¹.

كتب الفقه وأصوله

- الإحكام في أصول الأحكام : يقع في ثمانية أجزاء مجموعة في مجلدين وقد قام بتحقيقه الشيخ أحمد شاكر بالقاهرة (1926-1929).

- ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل : حققه سعيد الأفغاني بدمشق سنة 1379 هـ.

- المحلى بالآثار في شرح المجلى باختصار : حققه أحمد محمد شاكر وعبد الرحمن الجزيري بالقاهرة (1928-1933).

⁴⁸ : أنخل بالنتيا "تاريخ الفكر الأندلسي" ص 228 وانظر حاجي خليفة "كشف الظنون" 1820/2-1821

⁴⁹ : الحموي "معجم الأدياء" 237/12-238، وذهب إلى هذا الرأي كذلك ابن حبان انظر ابن بسام "الذخيرة"

القسم الأول 167/1

⁵⁰ : الحميدي "جذوة المقتبس" ص 291

⁵¹ : طه الحاجري "ابن حزم صورة أندلسية" ص 171

- نكت الإسلام : نشر وترجم إلى الإسبانية سنة 1911.
- النبذ في الفقه الظاهري : نشره عزت العطار سنة 1941
- التلخيص لوجوه التخليص : نشره إحسان عباس سنة 1960

المؤلفات التاريخية والسياسية

- حجة الوداع : تحقيق ممدوح حقي بدمشق 1940
- نقط العروس في تواريخ الخلفاء : نشر شوقي ضيف بمجلة آداب القاهرة 1951
- جوامع السير : نشر إحسان عباس وناصر الدين الأسد بالقاهرة 1956
- جمهرة أنساب العرب : تحقيق عبد السلام هارون بالقاهرة 1962
- رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها : نشرها غارسيا غومس.

رسائل أخلاقية وأدبية ونفسية

- رسالة الأخلاق والسير في مداواة النفوس : نشرت بالقاهرة 1908
- طوق الحمامة في الألفة والآلاف حققها كثيرون من بينهم حسن الصيرفي بالقاهرة 1959.

ويستخلص من هذا الفصل ان ثقافة ابن حزم العلمية كانت مزاجية بين المنقول والمعقول ولم تتأثر بالحركة السلفية المقاومة لعلوم الأوائل. ولاشك ان اشتغال ابن حزم بهذه العلوم دفعه إلى إعادة النظر في قضية المعرفة وذلك قصد العدول عن مسلك التقليد، واعتماد منهج الجمع بين النقل والعقل في معالجة مشكلات الشريعة.